انتنا المفاجاة هذه السنة من قاعات العرض ، وخاصة « المعمل » ، مع معرض ايتيل عدنان ، معرض الفنانين اليوغسلافيين ، معرض آدم حنين . ربما كانت هذه المفاجاة المباغتة هي اقوى علاقة تشكيلية في هذه السنة . مع اتيل عدنان دخلنا الماتاه ، سلسلة من الكتابة المتعددة المستويات ، نصا يحرق العين ، ويفتح مسام الجلد ، يغرق الدماغ للشوكي ، ويجلسك بين الوان الضحك والبكاء .

كانت للفنانين اليوغسلافيين رجتهم الهادئة ، رسوم فطرية ، وتجريد هندسي ، وتعبير خطي ، كلها ممتزجة في حلم يستحيل القبض عليه بسهولة ، ورؤية انسانية يشدها الانسياب والعنف . مع هذه الاعمال اكتشفنا وجها آخر للغرب . آدم حنين هو الآخر مدهش ببساطته ، وغنائيته ، وبحثه عن الجذور ، في الطبيعة والانسان ، من خلال ماض سحيق (الفراعنة) ، وحاضر ساخن ، برموزه والوانه النباتية وورق البردي .

ربما كانت هذه الوجوه الثلاثة (لبنان ـ يوغوسلافيا ـ مصر) محركة اكثر من غيرها هذه السنة لموسمنا التشكيلي ، ولا شك انها طرحت على الفنانين والمهتمين سؤالا ، ليس بالضرورة معرفة حجمه الآن ، ولكنه بالتاكيد يعارض السكون الذي لمسناه في اغلب الاعمال المغربية المعروضة هذه السنة . هذا السؤال المربك ، المحير ، هو ما نحتاج اليه ، سؤال منبعث من داخل العمل التشكيلي وخارجه . ولكن هل طرح السؤال ممكن دائما ؟

لم يتسع الحوار هذه السنة حول الوضع التشكيلي ، وهذا طبيعي ، مع نوعية النشاط الثقافي بصفة عامة بالمغرب طيلة هذا الموسم . ومع ذلك يجب الا ننسى مبادرة جمعية « الانطلاقة الثقافية » بالناضور . ربما لاول مرة شاهدت هذه المدينة معرضا لجماعة جيدة من الفنانين المغاربة ، ولا شك أنه كان فرصة الاتصال بالجمهور في هذه المنطقة النائية عن مراكز النشاط الثقافي . انّ هذا يدخل في اطار تحرك المدن الصغيرة ثقافيا ، وهو تحرك ايجابي يعطي العمل الثقافي بعدا وطنيا ، يكسر دائرة تمركز المثقفين الفنانين ، ويسمح بتوسيع مجال التواصل والحوار .

ويبقى استمرار صدور « الاشارة » علامة بارزة في العلاقة التي بدات بين المثقفين والفنانين ، وهي من غير شك تحتاج الى تجاوز ترسبات الماضي ، وضيق افق العمل الذي لم تعد تطيقه وضعية ثقافتنا الوطنية الديمقراطية .

ماذا نريد من هذه الكلمة ؟

ببساطة نقول اننا امام تحول في الوضع التشكيلي ، والوضع الثقافي الوطني بصفة عامة ، ولكنه بطيء ، تعرقله منبطات ذاتية وموضوعية : انشقاقات ، خلافات ، عدم تبلور وعي نقدي متكامل ، ثم الوسائل والامكانيات ، تجهيز ، وتحويل ، على مستوى انشاء المؤسسات التشكيلية ، والدفع بالموجود نحو اهتمام اكثر . ليست هذه الاسباب شكلية ، ولا عابرة .

نرجو ان يكون هذا الصراع الصامت ، وهذا التشتت غير العفاجي ، قادرين على تجاوز الطارئ ، من خلال التشبث بالمفهوم الوطني الديمقراطي للعمل التشكيلي بالمغرب ، في التعامل مع التجربة الطلائعية في بعض الاقطار العربية ، والعالم الثالث ، ولن يتم هذا الا في اطار تكتل قوي ، واع بضرورة الصراع الفني ، الذي هو جزء من الصراع الايديولوجي الذي تخوضه ثقافتنا التقدمية التي اخذت ملامحها الجديدة تتجه باصرار نحو تحقيق هويتها المتميزة .

محمد بنيس

● نـدوة ابـن رشـد

لنقل ان كلية الاداب والعلوم الانسانية (الرباط) قد فتحت بابا حق اليه جميع المهتمين والمثقفين والباحثين بالمغرب . هذا الباب هو الندوات العلمية الكبرى التي ابتدات في السنة الماضية في ندوة ابن رشد وحاولت أن تتقدم اكثر في ندوة ابن خلدون . ما يجعلنا نؤيد هذه المبادرة الثقافية هو حكم المتتبعين لها من بين الطلبة واساتذة الكلية بمختلف الشعب والمثقفين الذين توافدوا على الرباط . كان الجميع متعجلا ومتلهفا حتى ضاقت قاعة ابن خلدون بجمهورها المعتاد ، فلم يجد الحاضرون امامهم غير مدخل الكلية ومساحتها متحملين تقلب الطقس من شدة ريح ومطر اتى هو الآخر في نفس ايام ابن خلدون ، لن نقوم بتحليل كامل

لمعطيات مناظرة ابن خلدون (ولم تتطرق من قبل لمناظرة ابن رشد لاسباب موضوعية لا نرى فائدة في ذكرها) لان مثل هذا العمل يتطلب تاملا وقراءة واعية ، نقدية بالتاكيد لمجمل المساهمات حتى نكون في موقع يسمح لنا بهذه القراءة . هل نقف الآن عند تمجيد مناظرة ابن خلدون ؟ يظهر اننا تجاوزنا مثل هذا الاسلوب في معالجة قضايانا وتدارس همومنا الثقافية .

منذ اكثر من قرن والحديث يطول عن ابن خلدون . اذا هذا الحديث عن الحديث الخلدوني لم يكن في يوم من الايام بريئا كما لم يطرح صدفة في مرحلة محددة من فكرنا العربي الحديث . هذا الرجوع الى ابن خلدون دليل على ان (المقدمة) كانت قد نسيت في الفترة الفاصلة بين كتابتها وبين الفترة الحديثة . اشار الاستاذ اركون لهذه النقطة وهي مهمة جدا ولا نريد ان نشوه كلامه بشأنها (سينشر النص مستقبلا) .

ربما كان من الصعب علينا تحديد سلاسل الحديث التي قامت بقراءة للحديث الخلدوني وخاصة المقدمة . فعمل مثل هذا يتطلب بحثا نحن لا ندعي القيام به الآن . ولكن يظهر أن الحديث الخلدوني كان وجها لصراع طويل بين بعض تيارات النهضة العربية والفكر الاوربي وخاصة الاستشراق خاصة في القرن 19 وبداية القرن 20 . كان الحديث الخلدوني اذا وجها من دروب التنازع و « المغالبة » بين الشرق والغرب ، بين فكر عربي اراد أن يثبت هويته اولا ثم اختصاره للزمن ثانيا وسبقه على الغرب ثالثا وفضله في تقدم الغرب رابعا . كانت قراءات الحديث الخلدوني اذا في هذه المرحلة متعددة ومتنوعة ليس لها وظائف علمية فقط وانما كان الامر يتعدى هذا النطاق لمواجهة حضارية عربية أنا واستبداد استعماري واستيلاب ثقافي آنـا آخـر .

كثر الحديث اذا عن ابن خلدون وعلم الاجتماع ، عن ابن خلدون والمادية الجدلية ، عن ابن خلدون والعقلانية ، باختصار قرىء الحديث الخلدوني قراءة غربية ومن ثم وضعت علامة استفهام كبرى على جميع ما كتب في تلك المرحلة .

ما لعطنه في مناظرة ابن خلدون الحالية تعتد قراءات ابن خلدون كل قراءة تستجيب لاهتمامات المشارك . يمكن أن نطرح على انفسنا سؤالا : الم يكن من الممكن تحديد اشكالية محددة تكون مدار الحوار والنقاش ؟ قد يقال بان الفترة لم تات بعد لتنظيم مناظرة تحمل مثل هذا الهم الكبير . اذن هل نحن في حفل تكريم لابن خلدون ؟ بالتاكيد لا . ان بعض العروض والتدخلات عززتنا بعنف وقالت لنا بصدق ان الحديث الخلدوني ما زال لم يقرا بعد . مسافة طويلة ، متعبة بيننا وابن خلدون .

لم يكن موضوع المناظرة محددا وبالتالي لم تعط المناظرة نتائج علمية في مستوى مـا بذل من مجهود ومع ذلك نحن لسنا عدميين . هذه مناظرة قامت على اكتاف رجال نومن انهم حققوا كسبا ، ولو كان جزئيا في بدايته الا انه تعد واضح لمن يختارون للثقافة صمتا دائما .

بطبيعة الحال عمت الفوضى ، منع الصحافيون من دخول القاعة ، بقي الاساتذة المهنمون على الدرج ينتظرون سماع جملة ، والطلبة ينتظرون دورهم في التقاط جمل او التحمس للتصفيق . انها فوضى لعرس ثقافي ، لذلك نود ان ينتبه الساهرون على مثل هذه المناظرات الى ضـرورة تحديد سلفنا ونحن في مواقع مواجهة الضلال والتحريف بما نرفعه من شعار وما نمجده كوعي لا كاسم بالاضافة الى توفير الشروط المادية التي تسمح بافادة واستفادة اكبر عدد ممكن من عشاق الثقافة في هذا البلد . ان مناظرة ابن خلدون تستحق من (الثقافة الجديدة) اكثر من هذا ولكن نرجو ان يمكننا المشرفون على امثال هذه المناظرات مستقبلا بالقيام بواجبنا الذي هو بالتاكيد واجبنا الوطني . وتحية لكل من كان وراء نجاح مناظرة ابن خلدون .

● ندوة التقاليد والتحرر ـ 2 الى 7 أبريل 1979 .

انعقدت بين 2 و 7 ابريل 1979 بكل من الرباط وفاس ندوة عن « التقاليد والتحرر » نظمتها جمعية الفلسفة بالمغرب تحت رعاية الفدرالية الدولية لجمعيات الفلسفة ، وبتعاون مع كليتي الآداب بكل من الرباط وفـاس .

هذه هي الندوة الثانية التي تنظمها الفدرالية الدولية لجمعيات الفلسفة في بلاد من بلدان العالم الثالث ، وفي بلد عربي بصفـة خـاصـة .